العدد العشرون
2003

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا

1371 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2003 مسيحي

إقبال

الدكتور: ثامر ناصر حسين العبيدي

«عن الأصمعيّ: الإقبالُ ما استقبلكَ من مُشْرِفٍ، وهو نقيضُ الإدبار[1]، قالت الخنساء:

تَرتَعُ ما غَفَلَتْ حتى إذا ادّكرَتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ[2]

وقد أقبل إقبالاً وقَبَلاً»[3].

لم ترد لفظة (إقبال) بهذه الصيغة في القرآن الكريم، وإنّما وردت أكثرها بأزمنة الماضي والمضارع والأمر، بالبناءَين: المعلوم والمجهول، كما أنها وردت بصيغ مختلفة[4].

إلاّ أنّها وردت في بعض الأحاديث النبوية الشريفة[5] ـ التي سأذكرها مراعياً فيها الترتيب الزمنيّ لوفاة أصحاب كتب الحديث، والاختصار في الأحاديث الطويلة.

---

(1) انظر: اللسان 12: 14 (قَبَل).
وفي الصحاح 5: 1797 (قَبَل): الاستقبال ضد الاستدبار.
(2) انظر: ديوان الخنساء 29، وفيه: (رتَعَتْ) بدل (غَفَلت).
(3) انظر: اللسان 12: 14 (قَبَل).
(4) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 529 ـ 533 (قبل).
(5) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 5: 251 ـ 252.

1 ـ «. . . عن أنَس: أنّ رسول الله ﷺ شاورَ حين بلغَهُ إقبالُ أبي سفيان، قال: فتكلَّم أبو بكر، فأعرضَ عَنهُ، ثم تكلَّم عُمَر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة[6]، فقال: إيّانا تريد[7]؟ يا رسول الله! والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها[8] البحر، لأخضناها، ولو أمرتنا أنْ نضربَ أكبادها إلى بِرْك[9] الغماد[10]، لفعلنا[11].

قال: فندب رسول الله ﷺ ـ الناسَ، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً. . . .»[12].

2 ـ الحديث التالي ذِكْرُه. روي في مسند أحمد بن حنبل ثلاث مرّات: منها روايتان متفقتان في اللفظ، والثالثة اختلفت في بعض الألفاظ عنهما[13].

أ ـ . . . عن أُبَيّ بن كعب، قال: كان رجلٌ بالمدينة لا أعلم رجلاً كان أبعد منه منزلاً، أو قال: داراً ـ من المسجد منه، فقيل له: لو اشتريْتَ حماراً فركبته في الرمضاء والظلمات، فقال: ما يسرّني أنّ داري، أو قال: منزلي ـ إلى جنب المسجد.

فنُميَ الحديث إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما أردتَ بقولك: ما يسرّني أنّ

---

(6) في تاريخ الأمم والملوك للطبري 2: 317: سعد بن مُعاذ.

(7) كذا في مسند أحمد 3: 220، وصحيح مسلم 6:336. أمّا في مسند أحمد 3: 257: إيّانا يريد رسول الله؟.

(8) خضتُ الماء، أخوضُه، خوضاً، وخِياضاً، واختاض اختياضاً، واختاضه، وتخوّضه: مشى فيه، انظر: الصحاح 3: 1075 (خَوَض)، واللسان 5: 178 (خوض). وانظر تاريخ الطبري 2: 317، ومعجم البلدان لياقوت 1: 400، وفيهما: أن نخوض لخضناه.

(9) من معانيها: الصدر، والحجارة الخشنة التي يصعب المسلك عليها، وعِرَة. انظر: الصحاح 42: 1574 (برك) ومعجم البلدان 1:400.

(10) بِرْك الغِماد: هو موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر. وقيل: غير ذلك. انظر معجم البلدان 1: 399 ـ 400.

(11) (لفعلنا) سقطت من رواية مسند أحمد في 3: 220.

(12) انظر: مسند أحمد بن حنبل 3: 220، 257، وصحيح مسلم (بشرح النووي) 6: 336.

(13) انظر: مسند أحمد بن حنبل 5: 133.

منزلي، أو قال: داري ـ إلى جنب المسجد؟

قال: أردتُ أن يُكتب إقبالي إذا أقبلتُ إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي.

قال: أعطاك الله تعالى ذلك كلّه: أو: أنطاكَ[14] الله ما احتسبتَ أجمع، أو: أنطاك الله تعالى ذلك كلّه ما احتسبتَ أجمع».

ب ـ «... عن أُبَيّ بن كعب، قال: كان رجلٌ ما أعلَمُ من الناس من إنسان من أهل المدينة ممّن يصلي القبلة أبعد بيتاً من المسجد منه، قال: فكان يحضر الصلوات كلّهن مع النبي ﷺ، فقلتُ لَهُ: لو اشتريْتَ حماراً تركبه في الرمضاء والظلماء، قال: والله ما أحبّ أن بيتي يلزق بمسجد رسول الله ﷺ، قال: فأخبرتُ رسول الله ﷺ، فسأله عن ذلك، فقال: يا نبيّ الله، لِكَيْما يُكتَب أَثَري ورجوعي إلى أهلي، وإقبالي إليه.

قال: أَنْطاكَ الله ذلك كلّه، أو أعطاك ما احتسبتَ أجمع، أو كما قال».

حـ ألفاظه نفسها في (ب)

3 ـ من حديث طويل روي مرّتين في مسند أحمد بن حنبل[15]:

«... عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا

---

(14) هذه اللغة تسمى: الاستنطاء، وهي جَعْل العَيْن الساكنة نوناً إذا جاورت الطّاء، فيقال في أعطى: أنْطَى.

وهي لغة: سعد بن بكر، وهُذَيْل، والأزد، وقيس، والأنصار، وغيرهم وقد روتْ أم المؤمنين أم سلمة أنّ النبي ﷺ ـ قد قرأ بها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الكوثر/1. وبها قرأ الحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن، والزعفرانيّ.

وقرأها العامّةُ: «إنّا أعْطَيْناك الكوثر» ـ بالعين.

انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم 223، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 20: 198، وتفسير البحر المحيط 8: 517، 519، والاقتراح 201، واللهجات العربية في التراث 1: 385.

(15) انظر: مسند أحمد بن حنبل 4: 287 ـ 288، 295 ـ 296.

حوله، وكأنّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت[16] في الأرض، فرفع رأسه، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرّتين، أو ثلاثاً، ثم قال: إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشمس، معهم كفَنٌ من أكفان الجنّة، وحَنُوط[17] من حَنُوط الجنّة حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان...

وإنَّ العبدَ الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح: فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب...».

4 ـ (باب في فضل الخُطا إلى المسجد).

«... عن أُبيّ بن كعب قال: كان رجل بالمدينة لا أعلم بالمدينة مَن يصلي إلى القبلة أبعد منزلاً من المسجد منه، وكان يشهد الصلوات مع رسول الله ﷺ، فقيل له: لو ابتعت حماراً تركبه في الرمضاء والظلماء، قال: والله ما يسرّني أنّ منزلي يلزق المسجد.

فأخبر النبي ﷺ بذلك، فسأله عن ذلك، فقال: يا رسول الله كيما يكتب أثري وخُطاياي، ورجوعي إلى أهلي، وإقبالي، وإدباري، أو كما قال.

فقال رسول الله ﷺ: أنطاك الله ذلك كُلَّه، وأعطاك ما احتسبت أجمع، أو كما قال»[18].

5 ـ لم يرو البخاري أيّ حديث متضمّن كلمة (إقبال)، وإنما فيه: «باب إقبال المحيض وإدباره».

---

(16) أي: يؤثّر فيها. انظر: الصحاح 1: 269 (نَكَتَ).

(17) الحَنُوط) الذَّريرة، وقد تحنّط به الرجل. انظر: الصحاح 3: 1120 (حَنَط).

(18) انظر: مسند الدارمي 1: 294.

وقد شرح ابن حجر العسقلاني هذا بقوله: «اتفق العلماء على أنّ إقبال المحيض يعرف بالدفعة من الدّم في وقت إمكان الحيض. . .»[19].

6 ـ «عن أم سلمة قالت: علّمني رسول الله ﷺ أنْ أقول عند أذان المغرب: اللهمّ إنّ هذا إقبالُ ليلِكَ، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، فاغفر لي»[20].

7 ـ «إنّ للقلوب لنشاطاً وإقبالاً»[21].

وآخر دعوانا أن الحمدُ للّه ربّ العالمين. .

فهرس المصادر

1 ـ **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** ـ للحسين بن أحمد (المعروف بابن خالويه) ـ عالم الكتب ـ بيروت.

2 ـ **الاقتراح في علم أصول النحو** ـ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق: أحمد محمد قاسم ـ ط 1 ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة 1396هـ ـ 1976م.

3 ـ **تاريخ الأمم والملوك** ـ للطبري ـ تحقيق: عبد أ. علي مهنا ـ ط 1 ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت 1418هـ ـ 1998م.

4 ـ **تفسير البحر المحيط** لأبي حيّان محمد بن يوسف ـ ط 2 ـ دار الفكر ـ بيروت 1403هـ ـ 1983م.

5 ـ **الجامع لأحكام القرآن ـ لمحمد بن أحمد القرطبي ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ ط 1 ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1418هـ ـ 1997م.**

6 ـ **ديوان الخنساء ـ تحقيق**: كرم البستاني ـ ط 2 ـ دار المسيرة ـ بيروت 1982م.

7 ـ **سنن أبي داود سليمان بن الأشعث** ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية بيروت.

(19) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1: 436.

(20) انظر: مسند أبي داود (باب ما يقال عند أذان المغرب) ـ 1: 146.

(21) مسند (أو سنن) الدارمي مقدمة 41. هكذا ذكر في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 5: 252. ولكنّني لم أعثر عليه في مسند الدارمي.

8 ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ـ لإسماعيل بن حماد الجوهري ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ـ ط4 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1407هـ ـ 1987م.

9 ـ **صحيح مسلم (بشرح النووي)** تحقيق: عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر ـ ط 1 ـ دار الحديث ـ القاهرة 1415هـ ـ 1994م.

10 ـ **فتح الباري بشرح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة 1378هـ ـ 1959م.**

11 ـ **لسان العرب** ـ لمحمد بن مكرم بن منظور ـ ط 1 ـ دار صادر ـ بيروت 2000م.

12 ـ **اللهجات العربية في التراث** ـ لأحمد علم الدين الجندي ـ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس 1983م.

13 ـ **مسند أحمد بن حنبل (وبهامشه: منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ ط 2 ـ دار الفكر ـ بيروت 1398هـ ـ 1978م.

14 ـ **مسند عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي** ـ بعناية: محمد أحمد دهمان ـ دار إحياء السنة النبوية.

15 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ـ وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

16 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ** ـ نشره: أ.ي. ونْسِنْك، و: ي.ب. مَنْسِنْج ـ أتبع نشره: ي.بروخمان ـ مطبعة بريل ـ ليدن 1965م.

17 ـ **معجم البلدان** ـ لياقوت بن عبد الله الحموي ـ دار صادر ـ بيروت 1397هـ ـ 1977م.